من علامات القلب السليم
أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه

عَنْ أَبِيْ حَمْزَةَ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ خَادِمِ رَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: (لاَ يُؤمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيْهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) رواه البخاري ومسلم

منزلة الحديث:

هذا الحديث أصل عظيم في محبة المسلمين والنصح لهم وإيثارهم ومعاملتهم كمعاملة النفس.

فهذا حديث عظيم جليل، حتى قال بعض العلماء: إنه أحد الأحاديث الأربعة التي عليها مدار الإسلام؛ حديث الأعمال بالنية، وحديث من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، وحديث الحلال بيّن والحرام بيّن، وهذا رابعها: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).

معاني المفردات:

@لا يؤمن:

النفي في قوله (لا يؤمن أحدكم) نفي لكمال الإيمان ونهايته والمراد لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان وكماله حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير كما هو مفسر في رواية أحمد (لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير). ونفي الإيمان على مراتب:

.1نفي لأصل الإيمان لانتفاء بعض أركانه كقوله تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).

.2نفي لكمال الإيمان الواجب لانتفاء بعض واجباته كقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه) متفق عليه.

واجبة، وهذا فيما يتعلق بالأمور الدينية فيجب على المسلم أن يحب لأخيه المسلم فعل الطاعات واجتناب المنهيات، ومن علاماتها: النصح، وعدم الحقد ونشر الخير والدعاء لهم.

.3نفي لكمال الإيمان المستحب لانتفاء بعض مستحباته كقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).

وهي ما يتعلق بالأمور الدنيوية؛ لأن الإيثار بالأمور الدنيوية مستحب، كأن يكون في سعة من الرزق فيحب لأخيه مثل ذلك.

@ والمقصود أن من جملة خصال الإيمان أن يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه، وأن يكره له ما يكره لنفسه، كما أفاده حديث: "مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوادِّهِمْ، وتَراحُمِهِمْ، وتَعاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ، تَداعَى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمَّى"؛ (رواه مسلم)، فالمؤمن يسوؤه ما يسوء أخاه ويحزنه ما يحزنه.

@أحدكم:

أحد هنا بمعنى واحد، أي الواحد منكم .

@لأخيه:

أي: في الإسلام أو الإيمان

الأخوة في الله، فوق أخوة النسب فحقّها أوجب.

فهناك ما يسمى برحم الدين: و يقصد بها من كانوا على الإسلام والإيمان، بمعنى: أن كل المسلمين والمؤمنين أرحام لبعضهم، وإن لم يكن بينهم قرابة

وهذا النوع عام جدا ونحن نحتاج إليه جدا حتى ينصلح حال المؤمنين وحال المجتمع قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات: ١٠]

@ما يحب لنفسه:

من خير ودفع شر ودفاع عن العرض وغير ذلك **والخير كلمة جامعة تعم الطاعات والمباحات الدينية والدنيوية، وتخرج المنهيات..** وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، وَلْيَأتِ إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤتَى إِلَيْهِ".

وهذا الحديث يُعتبَر ميزانًا يَعرف به المؤمنُ قدْر إيمانه، فمنْ يحبُّ الخير للآخرين، بحيث يُحبُّ لهم الصلاح والهداية، والحياة الطيبةَ السعيدة، ويفرحُ إذا أصابهم خير، ويَحْزنُ إذا أصابهم شرٌّ، ويسعى إلى إدخال السرور عليهم، فهذا مؤمن كامل الإيمان.

وأمَّا مَنْ يحبُّ الخير لنفسه فقط، فيحزن إذا رأى أخاه أصابته نعمة، ويفرح إذا نزلت عليه مصيبة؛ بل قد يسعى إلى إفساد سعادة الآخرين وفرحتهم، فهذا

مؤمن ناقص الإيمان؛ لأن من كمال الإيمان أن تحبَّ الخير للآخرين كما تحبُّه لنفسك.

-عن أبي موسى الأشعريّ- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "إنّ الأشعريّين إذا أرملوا - نفذ زادهم - في الغزو أو قلّ طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثمّ اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسّويّة، فهم منّي، وأنا منهم").

وكان الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم- يحبُّون الخير لإخوانهم، وتَهُمُّهُم سعادتهم وراحتهم

عن أنس في قصة إسلام أبي قحافة - هو والد أبي بكر -، قال: فلما مد يده يبايعه بكى أبو بكر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك؟ قال: لأن تكون يد عمك - يعني أبي طالب - مكان يده ويسلم ويقر الله عينك أحب إلي من أن يكون.

وعندما نزلت آية تحريم شرب الخمر، جاء أناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسألوه عن مصير إخوانهم المؤمنين، الذين ماتوا أو استشهدوا قبل تحريم الخمر، خوفًا من أن يكون مصيرُهم إلى جهنم، وهنا أنزل الحق سبحانه وتعالى قوله :﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾ [المائدة: ٩٣] ففرحوا لَمَّا علموا أن الله تعالى لن يعذبَ إخوانهم على ما شربوه من الخمر قبل التحريم.

ولما أسلم الوليدُ بنُ الوليد، ونال شرفَ القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورأى ما في حياة الإسلام من الخير والسعادة، والراحة والطمأنينة، أَحبَّ هذا الخيرَ لأخيه - خالدِ بن الوليد- فكتب إليه رسالةً يخبره بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عنه، ويأمره فيها بأن يعلنَ إسلامه، ليستدرك ما فاته من الخير الكثير، فلما قرأ خالد رسالة أخيه، تأثر بها، وشرح الله صدره للإسلام، وخرج مهاجرًا إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وهذا عبدالله بن عباس رضي الله عنه يقول: "ما نزل غيث بأرض إلا فرِحت بذلك، وليس لي فيها شاة ولا بعير، ولا سمِعتُ بقاضٍ عادلٍ إلا دعوت الله له،

وليس عنده لي قضية، ولا مررتُ بآيةٍ من كتاب الله إلَّا أحببت أن يعلم الناس منها ما أعلم.."

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "إني لأَمُرُّ على الآية مِن كتاب الله، فأَوَدُّ أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم."

وعرض محمد بن واسع حمارًا ليبيعه، فقال له رجل: أترضاه لي؟ قال: لو رضيتُه لم أبعه!

عن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: أهدي لرجل من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رأس شاة، فقال: إنّ أخي فلانا وعياله أحوج إلى هذا منّا.

فبعث به إليهم، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتّى تداولها أهل سبعة أبيات حتّى رجعت إلى الأوّل فنزلت (الحشر/ ٩)).

قال السري السقطي: منذ ثلاثين عاماً، وأنا في الاستغفار من قولي مرة (الحمد لله)؟

قال: وقع ببغداد حريق، فاستقبلني أحد؟؟ الناس قائلاً نجا حانوتك فقلت: الحمد لله.

فأنا نادم من ذلك الوقت على ما قلت، حيث أردت لنفسي الخير دون الناس.

الإمام أبو حنيفة

ذات يوم جاءته امرأة بثوب من الحرير تبيعه له، فسألها: كم ثمنه؟ فقالت: مائة. فقال: هو خير من مائة، بكم تقولين؟ فزادت مائة مائة حتى بلغت أربعمائة درهم، فقال: هو خير من ذلك. فقالت أتهزأ بي؟ فقال: هاتي رجلاً يقومه، فجاءت برجل فاشتراه بخمسمائة درهم!!

وفي رواية لامرأة أخرى جاءته فقالت: إني ضعيفة وإنها أمانة، فبعني هذا الثوب بما يقوم عليك، فقال خذيه بأربعة دراهم، فقالت: لا تسخر مني وأنا عجوز، فقال: إني اشتريت ثوبين، فبعت أحدهما برأس المال إلا أربعة دراهم فبقي هذا الثوب علي إلا بأربعة دراهم.

ومن تطبيقاته ألَّا يتعرض المسلم لنساء وبنات المسلمين، بتحرُّش أو أذًى، أو استغلال أو اعتداء، فقد نصَح النبي صلى الله عليه وسلم أحد الشباب قائلًا: ((أتحبُّ الزنا لأُمِّك؟ ولأختك؟ ولابنتك؟ ولعمَّتك؟ وخالتك؟))، فقال: لا يا رسول الله، فقال له: ((وكذلك الناس لا يحبُّونه لأمهاتهم وأخواتهم وبناتهم وعماتهم وخالاتهم)).

ومن تطبيقاته ألَّا نظلم اليتامى بأكل أموالهم، والله تعالى يقول :﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ﴾ [النساء: ٩]؛ أي: أنْزِلوا أنفسكم منزلةَ هؤلاء، فكما تكرهون أن يستوليَ الناس على أموال أولادكم بعد موتكم، فلا تأكلوا مال هؤلاء اليتامى.

ومن تطبيقاته أن يكره المسلم لأخيه كلَّ ما يكره لنفسه، وهذا يجعلنا نترك مجموعةً من الصفات السيئة؛ كالغيبة والنميمة، والتكبُّر والكذب، والحسد والحقد، والغش في المعاملات المالية، وغيرها من الصفات التي نكره أن يعاملنا الناس بها.

فتعالوا إلى صور من واقع حياتنا عسى أن تفتح لنا من الخير أبوابًا.

قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلَّمتَ الحلم؟ قال: "مِن نفسي، كنتُ إذا كرهتُ شيئًا من غيري لا أفعل مثلَه بأحد ."

عندما تقود مركبتك في مكان، وتريد سلوك الطريق المزدحم، ألست تفرح بمن يقف ليفسح لك المجال بالعبور؟! بالتأكيد ستقول: نعم، افعَلْ هذا مع الآخرين.

عندما تقف في تقاطع تنتظر عبور المركبة، لكنه انعطف يمينًا أو شمالًا بدون استخدام الإشارة، ألست تتضايق؟! إذًا استخدمها قبل انعطافك، ولا تجعل الآخر يقف بلا فائدة.

إذا أردت شراء سيارة أو منزلًا أو جهازًا، ألست تحب أن يخبرك بما فيه من مزايا وعيوب؟! افعل هذا مع الآخرين.

إذا أردت بيع سلعة، فخُذ ربحًا معقولًا ترضاه لو كنت أنت المشتري، إذا كنتَ في مجلس مكتظ فابدأ بالتفسح إذا استطعت، في بعض دورات المياه عبارة: اترك المكان كما تحب أن تراه.

إذا سُئِلت عن خاطب لزوجة فأخبر بعدلٍ وصدقٍ كما تحب أن تُخبر لو خُطِب منك.

عند بنائك لا تقصر من الارتداد المسموح عند البلدية؛ لئلا تكشف حوش جارك وتزاحم خصوصيته.

بالتأكيد تحب أن يعفو عنك الناس، فاعف عنهم أنت، ولا شك أنك تحب أن يدعو لك الناس بظهر الغيب، وأنت ادعُ لهم بظهر الغيب.

استر مَن زلَّ كما تُحب أن تُستَرَ لو زللتَ، بالتأكيد أنك لا تحب أن تُغتاب، فلا تغتب أخاك ولو علمت عن شخص ذبَّ عن عرضك لأحبتَّه، فذُبّ أنت عن عرضك أخيك.

وبالتأكيد أنك تحب صاحب الكلام الطيب والتعليق اللطيف، والمبتسم البشوش، والمسلَّم بحفاوة؛ فجعلها مما تعامل به الآخرين.

لا شك أن تسعد برؤية الأماكن البرية نظيفة، وكذلك الحدائق والأماكن والعامة، اجعل ذلك من عادتك وعوِّد عليها أهلك وجلساءَك.

وبعد، فهذه أمثلة وغيرها كثير، فاجعَل منها طريقًا لتحقيق كمال الإيمان والتقرب للرحمن.

وختامًا: ليكن كل واحد منّا حكَم على نفسه أمام هذه الجملة: "وَلْيَأْتِ إلى النَّاسِ الذي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ"، وليضع نفسَه دومًا في مكان الطرَف الآخر.

@

@دل الحديث على أن من خصال الإيمان المستحبة أن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه فيأتيه بما يحب أن يؤتى به ويمنع عنه ما يحب أن يمنع عنه من الأذى وينصح له ويجتهد في أداء حقوقه واحترامه وتقديره والنظر في مصالحه. وأعظم ذلك إن رأى نقصا في دين أخيه اجتهد في إصلاحه.

فإن قال قائل: هذه المسألة قد تكون صعبة، أي: أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، بمعنى: أن تحب لأخيك أن يكون عالماً، وأن يكون غنياً، وأن يكون ذا مال وبنين، وأن يكون مستقيماً، فقد يصعب هذا؟ فنقول: هذا لايصعب إذا مرّنت نفسك عليه، مرّن نفسك على هذا يسهل عليك، أما أن تطيع نفسك في هواها فنعم سيكون هذا صعباً. ومن عرف شرف ما يطلب هان عليه ما يبذل

@@من تحلى بهذه الخصلة العظيمة كان مستحقا لدخول الجنة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه) رواه مسلم. وروي في مسند أحمد عن يزيد القسري قال قال لي رسول الله: (أتحب الجنة قلت نعم قال فأحب لأخيك ما تحب لنفسك). وذلك أنه لما كان المسلم محسنا

لإخوانه في الحياة الدنيا مشفقا عليهم حريصا على نفعهم جازاه الله بالإحسان في الآخرة وأدخله دار كرامته.

@إنما يقدر على هذه الخصلة ويقوى عليها من رزق سلامة الصدر وكان قلبه خاليا من الغل والغش والحسد فمن كان كذلك سره ما سر أخاه وساءه ما ساء أخاه. أما من كان يحمل في قلبه الغل فإنه يمنع من هذا الخير لمنافاته لما في قلبه من السوء. فإن الحسد يقتضي أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد في خير أو يساويه فيه لأنه يحب أن يمتاز عن الناس بفضائله وينفرد بها عنهم والإيمان يقتضي خلاف ذلك وهو أن يشركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير غير أن ينقص منه شيء. وقد مدح الله في كتابه من لا يريد العلو في الأرض فقال سبحانه: (تِلْكَ الدَّارُ الْآَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ).

@تنبيه:

إذا رأى المسلم غيره فاق عليه في فضيلة فتمنيه لها لنفسه له حالتان:

١. إن كانت تلك الفضيلة دينية كالعلم والعبادة وغيرها استحب له أن يتمنى ذلك كما تمنى النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه منزلة الشهادة. وقال صلى الله عليه وسلم: (لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها) متفق عليه. فتمني المرء لما أعطي أخاه من الفضائل لا ينافي محبة الخير والنصح له لأنه من باب التنافس في طاعة الله والمسابقة بالخيرات.

٢. إن كانت تلك الفضيلة دنيوية فلا يشرع له تمنيها ولا خير في ذلك كما ذم الله عز وجل قوم قارون بقوله: (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ). وقال تعالى: (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ).

فيكره للعبد تمني ذلك لأن الدنيا ليست مقصودة لذاتها وقد تكون وبالا عليه وقد يحصل مع ذلك نوع من الحسد. قال بعض السلف: (إذا رأيت من ينافسك في الدنيا فنافسه في الدين).

لا تعارض بين قوله تعالى :وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ المطففين/٢٦، وما ثبت عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ" :لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ - أَوْ قَالَ: لِجَارِهِ - مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"، رواه "البخاري" (١٣)، و"مسلم" (٤٥)، واللفظ له.

وللعلماء في الجواب عن إزالة هذا التعارض آراء:

الأول: أن الحديث في أمور الدنيا، والآية في أمور الآخرة. انظر: "صحيح مسلم" بشرح الأبي والسنوسي.(244 /1)

الثاني: وقيل إن المراد بذلك: محبة الخير، على جهة العموم والإجمال، دون تفاصيل ما يطلبه المرء لنفسه من الخيرات. قال ابن الجوزي رحمه الله: "إن قيل: كيف يتصور هذا وكل أحد يقدم نفسه فيما يختاره لها، ويحب أن يسبق غيره في الفضائل، وقد سابق عمر أبا بكر؟ فالجواب: أن المراد حصول الخير في الجملة. واندفاع الشر في الجملة، فينبغي للإنسان أن يحب ذلك لأخيه كما يحبه لنفسه، فأما ما هو من زوائد الفضائل وعلو المناقب فلا جناح عليه أن يوثر سبق نفسه لغيره في ذلك." انتهى من "كشف المشكل من حديث الصحيحين" (٢٢٢/٣). وينظر: "القبس شرح الموطأ" لابن العربي (٩٢٩)، "المسالك شرح الموطأ.(6/409-417) "

الثالث: أنَّ هذا أمر بالازدياد من الطاعة، وأن التنافس يبعث على المشاركة في الخير، والحديث عام في أمور الدنيا والآخرة، فالمؤمن لا يكره أنَّ أحدًا يُشارِكُه في ذلك، بل يُحِبُّ للناس كُلِّهم المنافسةَ فيه، ويحثُّهم على ذلك، وهو من تمام أداءِ النَّصيحة لأهل الإيمان.